الاجتهاد الفقهي المعاصر: مفهومه، ومجالاته، ومؤسساته

يمثّل الاجتهاد المعاصر امتدادًا طبيعيًا للوظيفة الأصلية للفقه الإسلامي، في **توجيه الحياة الإنسانية وتسديدها وفق مقاصد الوحي** .ومع تسارع التحولات العلمية والاجتماعية والاقتصادية، وتكاثر النوازل والمستجدات، أصبح من الضروري تطوير آليات الاجتهاد، وضبط منهجيته، وتجديد فعاليته، بما يضمن صلته بالأصول وانفتاحه على الواقع.

أولًا: مفهوم الاجتهاد المعاصر

الاجتهاد المعاصر هو:

"استفراغ الوسع في فهم الواقع ونوازله، وإنزال النصوص الشرعية عليه، بتوظيف القواعد الأصولية، للوصول إلى حكم شرعي يحقق مقاصد الإسلام في العدل والمصلحة" (الشاطبي، *الموافقات*، ج4، ص. 293، بتصرف).

فهو اجتهاد:

- لا يبتدع أحكامًا، بل **يستنبطها** من أصول التشريع.
- يُوظف **الاجتهاد الجماعي والتخصصي** في فهم القضايا المعاصرة.
- **يراعي الواقع** في تعقيداته، دون إخلال بثوابت الشريعة.

ثانيًا: التحديات التي تواجه الاجتهاد المعاصر

1. **تعقّد الواقع وتشابكه** :تتداخل النوازل بين فروع متعدّدة، كالقضايا الطبية، والمالية، والتقنية، مما يستدعي الإحاطة بمستويات معرفية مختلفة.
2. **ضعف التأهيل المركّب** :إذ قلّ من يجمع بين الفقه العميق وفهم الواقع التخصصي، مما يحدّ من فعالية المجتهد في النوازل الدقيقة.
3. **تضارب الفتاوى وانتشارها الإعلامي** :تسبب اضطرابًا في التلقي لدى العوام، وتقلل من هيبة المؤسسات العلمية.
4. **ضعف مؤسسات الاجتهاد** :فغياب البُنى التنظيمية القوية للاجتهاد يؤدي إلى **فوضى في الفتوى**، وتصدّر غير المؤهلين.

5. **الضغوط السياسية والإعلامية** :تحاول بعض الجهات **توظيف الفتوى** لخدمة أجندات معينة، مما يُفسد الاستقلال العلمي.

ثالثًا: مجالات الاجتهاد المعاصر

يشمل الاجتهاد المعاصر ميادين متنوّعة، منها:

1. **المعاملات المالية الحديثة** :مثل البنوك الإسلامية، والصكوك، والعملات الرقمية، والتمويل التشاركي.
2. **القضايا الطبية والبيولوجية** :كزرع الأعضاء، والتلقيح الصناعي، والاستنساخ، وإنهاء الحياة (Euthanasia).
3. **قضايا الأسرة والمجتمع** :مثل تأطير العلاقات الأسرية، والتشريعات المدنية، وأحكام الأحوال الشخصية في الدول غير الإسلامية.
4. **فقه الأقليات** :بما يناسب أوضاع المسلمين في الغرب.
5. **الذكاء الاصطناعي والتقنيات الحديثة** :كأخلاقيات الروبوتات، والتحكم بالبيانات.
6. **فقه البيئة والمناخ** :في ظل التحديات البيئية العالمية.

رابعًا: الاجتهاد الجماعي والمجامع الفقهية

أمام تعقّد النوازل المعاصرة، أصبح من الضروري اعتماد **الاجتهاد الجماعي**، الذي يجمع بين **الفقهاء الشرعيين** و**الخبراء المتخصصين** .ويعد هذا اللون من الاجتهاد أقدر على:

- الإحاطة بوجوه المسألة.
- التحقق من معطياتها الواقعية.
- تقديم حلول شرعية متكاملة وراشدة.

أبرز المجامع الفقهية:

1. **مجمع الفقه الإسلامي الدولي** –تابع لمنظمة التعاون الإسلامي.
2. **المجمع الفقهي الإسلامي** –رابطة العالم الإسلامي.
3. **المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث** –يركّز على فقه الأقليات.
4. **المجلس العلمي الأعلى بالمغرب** –جهة رسمية تصدر فتاوى مؤطرة.

تتميّز هذه الهيئات بـ:

- الطابع المؤسسي الجماعي.
- الالتزام بالأصول والمقاصد.
- التعاون مع مختصين في الطب، والاقتصاد، والاجتماع، وغير ذلك.

خامسًا: نحو فقه تجديدي رشيد

ليكون الاجتهاد المعاصر فاعلًا ومثمرًا، لا بد من:

1. **تأهيل المجتهدين** تأهيلًا مركبًا: علميًا وفقهيًا وواقعيًا.
2. **تفعيل المؤسسات الاجتهادية** واستقلالها العلمي.
3. **التحصن بالمنهج الأصولي** والمقاصدي المتين.
4. **الانفتاح على العلوم الحديثة**، بما لا يخل بضوابط الشريعة.
5. **ربط الفتوى بالسياق العام للأمة**، بعيدًا عن الاستغلال السياسي أو الإعلامي.

قال الإمام القرافي:

"الجمود على المنقولات أبدًا ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين"(*الفروق*، ج1، ص. 177).

خاتمة

الاجتهاد المعاصر هو **عنوان استمرار الشريعة في قيادة الحياة**، وهو ضرورة حضارية قبل أن يكون مطلبًا شرعيًا. لكنه لن يثمر إلا حين **يتحرّر من الجمود**، ويظل **ملتزمًا بالأصول والمقاصد**، منفتحًا على الواقع، ومستندًا إلى **العقل الجماعي الرشيد** .وبهذا، يظل الإسلام دينًا للزمان والمكان، قادرًا على تقديم الحلول، وبناء الحياة، وتحقيق العدالة والرحمة.

المراجع:

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى .(1997) .*الموافقات* .بيروت: دار المعرفة.
- القرافي، أحمد بن إدريس .(1998) .*الفروق* .بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن القيم، شمس الدين .(1991) .*إعلام الموقعين* .بيروت: دار الجيل.
- مجمع الفقه الإسلامي الدولي: بيانات وقرارات المجمع.
- المجلس الأوروبي للإفتاء: أرشيف الفتاوى والنشرات.